رسائل البلغاء

القسم الاول

BIBLIOTHEQUE KHEDIVIALE
الكتبخانة الخديوية بمصر
AU CAIRE

وفيه ما عرف لعبدالله بن المقفع
وعبدالحميد بن يحيي الكاتب
من الرسائل والنتف والحكم

« نشرت في مجلة المقتبس تباعاً »

« وحقوق الطبع محفوظة لها »

طبعت بمطبعة الظاهر امام محكمة الاستئناف بالقاهرة
سنة ١٣٢٦ هجرية وسنة ١٩٠٨ افرنكية

فهرس الرسائل

صفحة

٠١ الادب الصغير لابن المقفع
١٩ الدرة اليتيمة لابن المقفع
٤٣ يتيمة ثانية لابن المقفع
٤٧ حكم لابن المقفع
٤٩ رسالة ابن المقفع في الصحابة
٥٩ تحميد لابن المقفع
٦٠ رسائل مختصرة في السلامة والتعزية والشكر وطلب الحوائج لابن المقفع
٦٣ رسالة ابن المقفع الى يحيى بن زياد ابتداء في المؤاخاة
٦٤ جواب من يحيى بن زياد في صفة الإخاء
٦٦ رسالة عبدالحميد الكاتب في نصيحة ولي العهد وتعبية الجيش
٨٩ رسالة عبدالحميد في الشطرنج
٩١ رسائل في مطالب مختلفة لعبدالحميد وفيها بعض تحميدات
٩٧ رسالة عبدالحميد الى الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

«كلمات الناشر»

خير ما يخرج لطلاب الآداب العربية في هذا العهد كلام أئمة البلاغة من اهل القرون الاولى . وقد وقع الاجماع على ان عبد الله بن المقفع وعبد الحميد بن يحيي الكاتب كانا من زعماء هذا الشأن وان اسلوبهما احسن اسلوب في احكام ملكة البيان .

كانت حكم ابن المقفع اول ما كتب لي الوقوف عليه من رسائل هذين الامامين عثرت عليها في قسم المجاميع (عدد ١١٩) بدار الكتب المصرية في مجموع كتب سنة ٨٤٤ فنشرتها في مجلة المقتبس ثم نشر فيه استاذي العلامة العامل الشيخ طاهر الجزائري كتاب الادب الصغير لابن المقفع ايضاً ظفر به في مجموع عند احد اعيان بعلبك من بلاد الشام

ووقفت على الاثر في كتاب المنثور والمنظوم لاحمد بن ابي طاهر طيفور المحفوظ في قسم علم الادب بدار الكتب المصرية (عدد ٥٨٧) المنقول عن نسخة محفوظة في احدى مكاتب المدينة الى العثور على رسالة لابن المقفع في الصحابة ولعلها رسالته المشهورة في السياسة وعلى رسالة له سماها اليتيمة وعلى رسالة لعبد الحميد الكاتب في نصيحة ولي العهد وتعبية الجيش الى غير ذلك من الرسائل البديعة التي اوردها صاحب المنثور والمنظوم لهذين الكاتبين فنشرتها كلها واضفت اليها الدرة اليتيمة لابن المقفع ورسالة عبد الحميد الى الكتاب وما أثر لهذا من رسائل صغيرة قليلة

ولغلبة التحريف على كتاب المنثور والمنظوم اضطررت مرة الى حذف جمل برمتها والاشارة اليها او ابقيتها على علاتها واشرت اليها بعلامة استفهام اذا كان يفهم مع التحريف حاصل المعنى الا ان الغلط وقع في الاكثر في رسالة الصحابة وولي العهد واليتيمة

كنت اود لو قيض لي الرجوع الى الاصل الذي نقلت عنه نسخة المنثور والمنظوم لاعارض عليها ما انشره اليوم في هذا المجموع عساني اسقط فيها على ما فات الناسخ الثاني ولعل ما تعذر عليّ اثبات صحته من عبارات ذينك الصدرين المقدمين يتيسر لغيري من الباحثين العارفين فيرشدوني الى اصل آخر او يهتدون الى وجه الصواب في هذا الكلام الطيب .

واني لارجو ان تكون هذه الاوراق خير مثال يحتذيه المتأدبون في كتاباتهم وان يقع فيه المشتغلون بتاريخ الشرق واجتماعه على ما يتمم بعض الاحكام على الحضارة العربية وان يستخدمها الدعاة لاصلاح الاخلاق خير ذريعة يعالجون بها ادواء النفوس فيكون منها عموم النفع كلما كررتها السن الانام وكرت عليها الاعوام والايام

القاهرة في ٢٨ ربيع الثاني سنة ١٣٢٦ وفي ٢٩ مايو سنة ١٩٠٨

محمد كرد علي منشئ المقتبس

عبدالله بن المقفع وعبدالحميد بن يحيى

نقلاً عن المقتبس

نشأ للعربية في اوائل القرن الثاني للهجرة كاتبان بليغان يصح ان يدعيا واضعي اساس الانشاء العربي وناهجي طريقة الكتابة المرسلة فكانا منارًا يهتدى به الى يوم الناس هذا ونعني بهما عبدالله بن المقفع وعبدالحميد بن يحيى الكاتب . ظهر هذان الامامان واللغة في نضرتها الاولى فكان لهما من فطرتهما السليمة اعظم مساعد لهما على النبوغ وزادت شهرتهما الاتصالهما بالخلفاء والامراء ومرانهما على الكتابة في الاغراض الكثيرة التي كانت تطلب اليهما فيخوضان عبابها مجليين مبرّزين

نشأ ابن المقفع في العراق على ما ينشأ عليه ابناء اليسار وكان والده ينتحل نحلة مجوس الفرس وَلِي خراج فارس للحجاج بن يوسف الثقفي في الدولة الأموية . ولقب بالمقفع لان الحجاج ضربه فتقفعت يده اي تشنجت لمدها لاخذ الاموال على ما يقال . وربي ابنه عبدالله تربية اسلامية واولع بالعلم وهو مكفي المؤونة فجاء منه في سن العشرين ماينذر ان يكون مثله لابناء الاربعين والخمسين . واتصل بعيسى بن علي عم السفاح والمنصور الخليفتين الاولين من بني العباس وكتب له واختص به واراد ان يدين بالاسلام فجاء الى عيسى ابن علي وقال له : قد دخل الاسلام في قلبي واريد ان اسلم على يدك . فقال له عيسى : ليكن ذلك بمحضر من القواد ووجوه الناس فاذا كان الغد فاحضر . ثم حضر طعام عيسى عشية ذلك اليوم فجلس ابن المقفع يأكل ويزمزم على عادة المجوس فقال له عيسى : اتزمزم وانت على عزم الاسلام فقال : اكره ان ابيت على غير دين . فلما اصبح اسلم على يده فسمي بعبدالله وكني بابي محمد .

اهم كتب ابن المقفع التي طار ذكرها كتاب كليلة ودمنة الذي نقله عن الفارسية ورسالته المعروفة باليتيمة في طاعة السلطان . قال القفطي وهو اول من اعتنى في الملة الاسلامية بترجمة الكتب المنطقية لابي جعفر المنصور وترجم كتب ارسطوطاليس المنطقية الثلثة وهي كتاب قاطيغورياس وكتاب باري ارمينياس (او بارميناس) وكتاب انالوطيقا وذكر انه ترجم ايساغوجي تأليف فرفوريوس الصوري . والارجح انه نقل هذه الكتب عن الفارسية او نقلها له ناقل عن اليونانية وصاغها هو في قالب عربي فنسبت له اذ لم يثبت انه كان يعرف غير الفارسية من اللغات . وعبارة ابن ابي أصيبعة في تاريخ الاطباء تشبه قول القفطي في تراجم الحكماء والغالب انهما نقلا عن مصدر واحد مع تغيير طفيف في عبارتيهما .

قال ابن النديم : واسمه بالفارسية روزبه وهو عبدالله بن المقفع ويكنى قبل اسلامه

اباعمرو فلما اسلم اكتنى بابي محمد والمقفع ابن المبارك انما تقفع لان الحجاج بن يوسف ضربه بالبصرة في مال احتجنه من مال السلطان ضربا مبرّحاً فتقفعت يده واصله من خوز مدينة من كوَر فارس وكان يكتب اولاً لداود بن عمر بن هبيرة ثم كتب لعيسى بن علي على كرمان وكان في نهاية الفصاحة والبلاغة كاتبا شاعرا فصيحا وهو الذي عمل شرط عبدالله ابن علي على المنصور وتصعب في احتياطه فيه فاحتفظ ذلك اباجعفر فلما قتله سفيان بن معاوية حرقا بالنار وقع ذلك من المنصور بالموقع الحسن فلم يطلب بثاره وُطلّ دمه وكان احد النقلة من اللسان الفارسي الى العربي مضطلعاً باللغتين فصيحاً بهما وقد نقل عدة كتب من كتب الفرس منها كتاب خداينامه في السير كتاب آيين نامه في الإصر كتاب كليلة ودمنة كتاب مزدك كتاب التاج في سيرة انوشروان كتاب الآداب الكبير و يعرف بماقراحسيس كتاب الادب الصغير كتاب اليتيمة في الرسائل .

وقال ان اباالجاموس ثور بن يزيد أعرابي كان يفد البصرة على آل سليمان بن علي وعنه اخذ ابن المقفع الفصاحة ولا مصنف له وقال : بلغاء الناس عشرة عبدالله بن المقفع . عمارة بن حمزة . حجر بن محمد . محمد بن حجر . انس بن ابي شيخ . وعليه اعتمد احمد بن يوسف الكاتب . سالم . مسعدة الحرير . عبدالجبار بن عدي . احمد بن يوسف . وذكره في الشعراء الكتاب فقال انه مقلّ . وقال : وقد كانت الفرس نقلت في القديم شيئاً من كتب المنطق والطب الى اللغة الفارسية فنقل ذلك الى العربي عبدالله بن المقفع وغيره وقال في الكتب المصنفة في الاسماء والخرافات ان عبدالله بن المقفع من جملة من كان يعمل الاسمار والخرافات على السنة الناس والطير والبهائم .

والراجح ان الحسد غلت مراجله في صدور بعض معاصريه والمعاصرة كما قيل حرمان فنسبوا اليه ما نسبوا من الزندقة لقصورهم عن بلوغ شأوه او لغرض في انفسهم قال ابن خلكان نقلاً عن الجاحظ : ان ابن المقفع ومطيع بن اياس ويحيى بن زياد كانوا يُتهمون في دينهم قال بعضهم : كيف نسي الجاحظ نفسه ، قلنا وعبارة الجاحظ في بعض رسائله بشأن ابن المقفع تشير الى قصوره في علم الكلام فقط فانه قال :

فصلٌ ومن المعلمين ثم من البلغاء المتأدبين عبد الله بن المقفع ويكني ابا عمرو وكان يتولى لآل الاهتم وكان مقدماً في بلاغة اللسان والقلم والترجمة واختراع المعاني وابتداع السير وكان جوادا فارسا جميلا وكان اذا شاء ان يقول الشعر قاله وكان يتعاطى الكلام ولا يحسن منه لاقليلا ولا كثيرا وكان ضابطاً لحكايات المقالات ولا يعرف من اين غُر المغتر ووثق الواثق واذا اردت ان تعتبر ذلك ان كنت من خاص المتكلمين ومن النظارين

فاعتبر ذلك بان تنظر في آخر رسالته الماضية فانك تجده جيد الحكاية لدعوى الق ردي‌ء المدخل في مواضع الطعن عليهم . وقد يكون الرجل يحسن الصنف والتصنيف ه العلم فيظن بنفسه عند ذلك انه لايحمل عقله على شيء الا بعد به اه

لاجرم ان اطلاق ابن المقفع لسانه في المعتزلة دعا احد ائمتها الى ان يصدر عليه هذ الحكم الغريب ولكن الجاحظ ايضاً على ثبوت تدينه لم يسلم من هذا الطعن كما رأيت . وا مسألة التهمة في الدين من الامور التي شاعت في كل عصر ومصر ويكون المتهمون بها ا معظم الاحوال ابرياء والا فكيف نسجل الزندقة على ابن المقفع اذا جرينا مع الدليل وليست الزندقة بحثاً عما يضمره الانسان في نفسه لان مثل هذا لا يطلع عليه الا الله تعالى ويكفي ان يقال هلاّ شققت عن قلبه . بل الزندقة التي تذكر في الكتب وتترتب عليه الاحكام ويسوغ ان يقال عن فلان انه زنديق امور تقوم عليها بينات ظاهرة من اقوال وافعال وكلام ابن المقفع في الدين يدل على شدة تمسكه وفرط ميله على ما يتجلى لك من رسائله .

ولو كان ثمّ سبيل لما ينسب اليه لا سيما مع غضب المنصور عليه لكان الاقرب ان يتقرب مثل المنصور بمثل ذلك وفيه ما فيه من ارضاء العامة وشفاء الغليل من العدو بحيث ينتقم منه مع اسقاطه ولا يعدم المنصور حينئذ حيلة في قتله جهاراً بهذه التهمة . اما اتهام ابن المقفع بمعارضة القرآن فتنصرف على القاعدة في اتهامه بالزندقة وما نظن القاضي عياض والباقلاني الا ناقلين عن اناس من اهل السذاجة ومع ذلك فانهما قالا انه تاب .

التهمة بالزندقة امر نشأت منه مضار كثيرة حتى لم يخل منها مثل الامام الغزالي الذي كان اعظم انصار الدين فانظر الى كتاب فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة الذي الفه في الرد على اولئك الذين نسبوا اليه مانسبوا فان فيه الغناء واغرب من ذلك القيام على أبي حاتم (١) ابن حبان البستي امام المحدثين في عصره وصاحب الصحيح المشهور به والكتب الممتعة الكثيرة واستحصال الامر بقتله لو لم ينج من ذلك بعوارض لا تخطر في البال

ومعارضة القرآن اكثر ما تنسب للزنادقة المشهورين بالادب والفضل يشيع ذلك اناس يقصدون اهلاك عدوهم بأي وسيلة كانت او اناس هم اقرب الى الزندقة ممن ينسبونهم اليها حتى ان أبا العلاء المعري على اضطراب الاقوال في نهاية امره مع ما علم به من احواله قد عُزي اليه كتاب كان معروفاً في بلاد المغرب يسمى بالفصول والغايات ولا يتوقف من كان قريب العهد من عصره في انه عمله في معارضة السور والآيات وكان كثير ممن يميلون الى ابي العلاء المعري من اهل المغرب يحجبون مما وقع فيه من سخافة القول الذي ينحط

(١) راجع ترجمته في معجم البلدان لياقوت في مادة بست

عن جميع كلامه المعروف مع انه ليس له يد في الكتابة كما علم من كتاب سر الفصاحة وكلامه في رسالة الغفران ينادي بخلاف ذلك (٢)

وعلى الجملة فان نسبة الزندقة الى ابن المقفع لا تثبت بوجه من الوجوه التي نعقل في اثباتها واذا نظرنا الى ما يتعلق بالغيب فالحكم الشرعي انه هو والناسبون اليه جميعاً في معرفة ما ينطوون عليه سواء لانه لم يذهب احد الى ان الايمان يتيسر اثباته بالبرهان الا اذا ورد عن الشارع في شخص معين اثبات الايمان او لوازمه لرجل بعينه .

وتهمة الزندقة الشنعاء كثيراً ما يتهم بها المشتغلون بالفلسفة امثال ابن رشد والفارابي وابن الصائغ وابن سينا . ونسب لهذا انه عارض القرآن وقد كتب رسالة في رد افتراء من افترى عليه ذلك . ومن هنا تظهر لك حسن سياسة المأمون لان فتح باب البحث عن الزنادقة قد اوجب من المضار ما لا يحصى كما يعلم من التواريخ وربما كان عصر المأمون اقرب الى قلة الزندقة في الحقيقة من العصور التي كثر اتهام معظم المفكرين بها وغيرهم ممن يراد الانتقام منهم .

عرفت بهذا ان كلام القائلين بزندقة ابن المقفع مع ما عرف من كلامه هو من ذلك الباب . قال المرتضى في اماليه روى ابن شبة قال: حدثني من سمع ابن المقفع وقد مرّ ببيت نار للمجوس بعد ان اسلم فلمحه وتمثل

يا بيت عاتكة الذي اتعزّل حذرَ العدى وبك الفؤاد موكل
اني لامنحك الصدود وانني قسماً اليك مع الصدود لاميل

وقال صاحب الاغاني نقلاً عن الجاحظ : كان والبة بن الحباب ومطيع بن اياس ومنقذ ابن عبد الرحمن الهلالي وحفص بن ابي وردة وابن المقفع و يونس بن ابي فروة وحماد عجرد وعلي بن

---

(٢) قال المعري في رسالة الغفران عند كلامه على ابن الراوندي الزنديق الذي صنف في الرد على القرآن : بئس ما نسب الى راوند فهل قدح في دباوند انما هتك قميصه وابان للناظر خميصه واجمع ملحد ومهتد وناكب عن الحجة ومقتد ان هذا الكتاب الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم كتاب بهر بالاعجاز ولقي عدوه بالارجاز ما حُذي على مثال ولا اشبه غريب الامثال ما هو من القصيد الموزون ولا الرجز من سهل وحزون ولا شاكل خطابة العرب ولا سجع الكهنة ذوي الارب وجاء كالشمس اللائحة نوراً للمسرة والبائحة لو فهمه الهضب الراكد لتصدع او الوعول المعصمة لراق الفادرة والصدع وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون وان الآية منه او بعض الآية لتعترض في افصح كلم يقدر عليه المخلوقون فيكون فيه كالشهاب المتلألئ في جنح غسق والزهرة البادية في جدوب ذات نسق فتبارك الله احسن الخالقين

الخليل وحماد بن ابي ليلى الراوية وابن الزبرقان وعمارة بن حمزة و يزيد بن الفيض وجميل بن محفوظ و بشار المرعث وابان اللاحقي ندماء يجتمعون على الشراب وقول الشعر ولا يكادون يفترقون ويهجو بعضهم بعضاً هزلاً وعمداً وكلهم متهم في دينه . قلنا واجتماع المتشاكلين قديم في الناس والغالب انهم يتحرجون من ادخال من ليس على شاكلتهم في زمرتهم فيتهمون بما هم منه براء كما اتهم جماعة ابي حيان التوحيدي الذي نقل بعض مجالسهم الفلسفية في مقابساته وكانوا من اهل النحل المختلفة تجمع بينهم جامعة العلم والفلسفة كما جمعت بين ابن المقفع واصحابه جامعة الادب فقالوا انهم كانوا يجتمعون على شراب واتهموهم بالمروق . وفي كتاب البيان والتبيين للجاحظ ذكر اناس كانوا شديدي التصافي والالتحام مع شدة التباين في المذاهب

اما كيفية مقتل ابن المقفع فقد اجمع مترجموه على انه كان بسبب كتابته اماناً لعبدالله ابن علي قال فيه : ومتى غدر امير المؤمنين بعمه عبدالله فنساؤه طوالق ودوابه حبس وعبيده احرار والمسلمون في حل من بيعته . فاشتد ذلك على المنصور جداً وخاصة امر البيعة وكتب الى سفيان بن معاوية المهلبي وهو امير البصرة من قبله فقتله . وكان سفيان هذا شديد الحنق عليه لان ابن المقفع على ما يقال كان ينال منه و يستخف به حتى عزم على ان يقتله فجاءه كتاب المنصور بقتله فقتله سراً في داره و يقال انه عاش ستاً وثلاثين سنة . وسأل سليمان وعيسى عنه فقيل انه دخل دار سفيان سليماً ولم يخرج منها فخاصماه الى المنصور واحضراه اليه مقيداً وحضر الشهود الذين شاهدوه وقد دخل داره ولم يخرج فاقاموا الشهادة عند المنصور فقال لهم المنصور : انا انظر في هذا الامر . ثم قال لهم : ارأيتم ان قتلت سفيان به ثم خرج ابن المقفع من هذا البيت واشار الى باب خلفه وخاطبكم ما تروني صانعاً بكم أأقتلكم بسفيان . فرجعوا كلهم عن الشهادة واضرب عيسى وسليمان عن ذكره وعلموا ان قتله كان برضا المنصور

ولابن المقفع شعر قليل ولكنه جيد نقل له صاحب الحماسة ثلاثة ابيات . يقال انه رثى بها يحيى بن زياد وقال الاخفش والصحيح انه رثى بها ابن ابي العوجا وهي

رزئنا ابا عمرو ولا حيّ مثله … فلله ريب الحادثات بمن وقع

فان تك قد فارقتنا وتركتنا … ذوي خلة ما في انسداد لها طمع

لقد جر نفعاً فقدنا لك اننا … أمنا على كل الرزايا من الجزع

قال ثعلب البيت الاخير يدل على مذهبهم في ان الخير ممزوج بالشر والشر ممزوج بالخير — فتأمل .

ومما يذكر عن ابن المقفع ما رواه صاحب الاغاني وغيره قال حدثني اليزيدي قال حدثني عمي عبيدالله قال حدثني احمد قال سمعت جدي ابا محمد يقول : كنت القى الخليل ابن احمد فيقول لي احب ان يجمع بيني و بين عبدالله بن المقفع فجمعت بينهما فمر لنا

احسن مجلس واكثره علماً ثم افترقنا فلقيت الخليل فقلت له : ياابا عبدالرحمن كيف رأيت صاحبك قال : ما شئت من علم وادب الا اني رأيت علمه اكثر من عقله . ثم لقيت ابن المقفع فقلت له : كيف رأيت صاحبك قال : ماشئت من علم وادب الا ان عقله اكثر من علمه . وقال المرتضى ان من جمعهما كان عباد بن عباد المهلبي فتحادثا ثلاثة ايام ولياليهن .

قال الاصمعي : قيل لابن المقفع من ادبك فقال : نفسي اذا رأيت من غيري حسناً اتيته وان رأيت قبيحاً ابيته . ودعاه عيسى بن علي للغداء فقال : اعزّ الله الامير لست يومي للكرام اكيلاً قال : ولم ؟ قال : لاني مزكوم والزكمة قبيحة الجوار مانعة من عشرة الاحرار . ومن كلامه : شربت من الخطب رياً ولم اضبط لها روياً ففاضت ثم فاضت فلا هي نظاما وليس غيرها كلاما .

ومما يؤثر عنه وهو مما يدل على رأيه في الانشاء انه قال لبعض الكتاب : اياك والتتبع لوحشي الكلام طمعاً في نيل البلاغة فان ذلك هو العي الاكبر . وقال لآخر : عليك بما سهل من الالفاظ مع التجنب لالفاظ السفلة . وقيل له ما البلاغة فقال : التي اذا سمعها الجاهل ظن انه يحسن مثلها .

وفي البيان والتبيين عن اسحق بن حسان بن قوهة انه قال : لم يفسر البلاغة تفسير ابن المقفع احد قط . سئل ما البلاغة ؟ قال : البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة ، فمنها ما يكون في السكوت . ومنها ما يكون في الاستماع . ومنها ما يكون في الاشارة . ومنها ما يكون في الحديث . ومنها ما يكون في الاحتجاج . ومنها ما يكون جواباً . ومنها ما يكون ابتداء . ومنها ما يكون شعراً . ومنها ما يكون سجعاً وخطباً . ومنها ما يكون رسائل . فعامة ما يكون من هذه الابواب الوحي فيها والاشارة الى المعنى والايجاز هو البلاغة .

فاما الخطب بين السماطين وفي اصلاح ذات البين فالاكثار في غير خطل والاطالة في غير إملال . قال : وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك كما ان خير ابيات الشعر البيت الذي اذا سمعت صدره عرفت قافيته . كأنه يقول فرّق بين صدر خطبة النكاح وبين صدر خطبة العيد وخطبة الصلح وخطبة المواكب حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على عجزه فانه لا خير في كلام لا يدل على معناك ولا يشير الى مغزاك . والى العمود الذي اليه قصدت والغرض الذي اليه نزعت .

قال فقيل له : فان ملّ المستمع الاطالة التي ذكرت انها حق ذلك الموقف قال : اذا اعطيت كل مقام حقه وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام وارضيت من يعرف حقوق الكلام فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو فانهما لا يرضيهما شيء واما الجاهل فلست منه وليس منك ورضا جميع الناس شيء لا تناله وقد كان يقال رضاء الناس شيء لا ينال

وقال عبدالعظيم بن أبي الاصبع في تحرير التحبير في البديع في باب التهذيب والتأديب : قد كان المتقدمون لا يحفلون بالسجع جملة ولا يقصدونه بتة الا ما اتت به الفصاحة في اثناء الكلام واتفق من غير قصد ولا اكتساب وان كانت كلماتهم متوازنة والفاظهم متناسبة ومعانيهم ناصعة وعباراتهم رائقة وفصولهم متقابلة وتلك طريقة الامام علي عليه السلام ومن اقتفى اثره من فرسان الكلام كابن المقفع وسهل بن هرون وابي عثمان الجاحظ وغير هؤلاء من الفصحاء والبلغاء ·

وقال الامين المحبي فيما يعوّل عليه في المضاف والمضاف اليه : يتيمة ابن المقفع — يضرب بها المثل لبلاغتها وبراعة منشئها وهي رسالة في نهاية الحسن تشتمل على محاسن من الادب وقد ذكرها ابو تمام واجراها مثلا في قوله للحسن ابن وهب

ولقد شهدتك والكلام لآلئ ... توأم فبكر في الكلام وثيب

فكأن قساً في عكاظ يخطب ... وكأن ليلى الأخيلية تندب

وكثير عزة يوم بين ينسب ... وابن المقفع في اليتيمة يسهب

وقال جلال الدين في المزهر نقلاً عن ابي الطيب عبد الواحد اللغوي في مراتب النحويين قال محمد بن سلام : سمعت مشايخنا يقولون لم يكن للعرب بعد الصحابة اذكى من الخليل بن احمد ولا اجمع ولا كان في العجم اذكى من ابن المقفع ولا اجمع

وقال المعري في عبث الوليد : كان المتقدمون من اهل العلم ينكرون ادخال الالف واللام على كل وبعض وروى الاصمعي انه قال كلاماً معناه قرأت آداب ابن المقفع فلم أر فيها لحناً الا في موضع واحد وهو قوله : العلم اكبر من ان يحاط بكله فخذوا البعض

وروي ان بعضهم ذكر ابن المقفع فقال : الفاظه معان ومعانيه حكم فصل خطابه شفاء وخصل بيانه كفاء · وسمع ابو العيناء بعض كلام ابن المقفع فقال : كلامه صريح ولسانه فصيح وطبعه صحيح كأن بيانه لؤلؤ منثور وروض ممطور · وقال جعفر بن يحيي : عبدالحميد اصل وسهل بن هارون زرع وابن المقفع ثمر واحمد بن يوسف زهر ·

وعبدالحميد هذا هو الذي يضرب به المثل في البلاغة حتى قيل فُتحت الرسائل بعبدالحميد وختمت بابن العميد · وكان احمد بن يوسف يقول في رسائل عبدالحميد الفاظ محككة وتجارب محنكة · قال صاحب الوفيات وكان في الكتابة وفي كل فن من العلم والادب اماماً وهو من اهل الشام وكان اولاً معلم صبية يتنقل في البلدان وعنه اخذ المترسلون ولطريقته لزموا ولآثاره اقتفوا وهو الذي سهل سبيل البلاغة في الترسل ومجموع رسائله مقدار الف ورقة

وقال ابن نباتة : انه البالغ الى اعلى المراتب في الكتابة البليغة يقال انه كان في اول عمره معلم صبيان بالكوفة ثم اتصل بمروان الجعدي قبل ان يصل الى الخلافة وصحبه وانقطع

اليه فلما جاء الامر بالخلافة سجد مروان وسجد اصحابه الا عبدالحميد فقال له مروان : لم لا سجدت فقال : ولمَ اسجد على ان كنت معنا فطرت عنا يعني بالخلافة فقال : اذاً تطير معي قال : الآن طاب السجود وسجد وكان كاتب مروان طول خلافته .

وهو اول من اخذ التحميدات من فصول الكتب واستعمل في بعض كتبه الايجاز البليغ وفي بعضها الاسهاب المفرط على مااقتضاه الحال . فمن الايجاز ان بعض عمال مروان اهدى اليه عبداً اسود فأمره بالاجابة ذاماً مختصراً فكتب : « لو وجدت لوناً شراً من السواد وعدداً اقل من الواحد لاهديته » . واما الاسهاب فانه لما ظهر ابومسلم الخراساني بدعوة بني العباس كتب اليه عن مروان كتاباً يستميله ويضمنه مالو قرىء لاوقع الاختلاف بين اصحاب ابي مسلم وكان من كبر حجمه يحمل على جمل ثم قال لمروان : قد كتبت كتاباً متى قرأه بطل تدبيره فان يك ذلك والا فالهلاك فلما ورد الكتاب على ابي مسلم لم يقرأه وامر بنار فاحرقه وكتب على جزازة منه الى مروان

محا السيف اسطار البلاغة وانتحى ... عليك ليوث الغاب من كل جانب

ولما اشتدَّ الطلب على مروان وتتابعت هزائمه المشهورة قال لعبدالحميد : القوم محتاجون اليك لادبك وان اعجابهم بك يدعوهم الى حسن الظن بك فاستأمن اليهم واظهر الغدر بي فلعلك تنفعني في حياتي او بعد مماتي فقال عبدالحميد

أسر وفاء ثم اظهر غدرة ... فمن لي بعذر يوسع الناس ظاهره

ثم قال يا امير المؤمنين ان الذي امرتني به انفع الامرين اليك واقبحهما بي ولكني اصبر حتى يفتح الله عليك او اقتل معك فلما قتل مروان استخفى عبدالحميد فغمز عليه بالجزيرة عند ابن المقفع وكان صديقه وفاجأهما الطلب وهما في بيت فقال الذين دخلوا : ايكما عبدالحميد فقال كل واحد منهما : انا خوفاً على صاحبه . الى ان عُرف عبدالحميد فاخذ وسلمه السفاح الى عبدالجبار صاحب شرطته فكان يحمي له طشتاً ويضعه على رأسه الى ان مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة . وقيل انه قتل مع مروان في مصر قال المسعودي انه رأى له عقباً بفسطاط مصر يعرفون ببني مهاجر وقد كان منهم عدة يكتبون لآل طولون . وكان ابوجعفر المنصور يقول: غلبنا بنوأمية بثلاثة اشياء بالحجاج وعبدالحميد والمؤذن البعلبكي . وقيل لعبدالحميد : ما الذي مكنك من البلاغة قال: حفظ كلام الاصلع يعني امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه . وقيل له ايما احب اليك اخوك ام صديقك قال : انما احب اخي اذا كان صديقي : وقال اكرموا الكتاب فان الله تعالى اجرى الارزاق على ايديهم . وقال : القلم شجرة ثمرتها الالفاظ والفكر بحر لؤلؤه الحكمة . ومن كلامه خير الكلام ما كان لفظه فحلاً ومعناه بكراً

قال صاحب وفيات الاعيان وكان كثيراً ما ينشد :

اذا خرج الكتاب كانت دويهم قسياً واقلام الدوي لها نبلا

ومما نقله عنه انه ساير يوماً مروان بن محمد على دابة قد طالت مدتها في ملكه فقال له مروان : قد طالت صحبة هذه الدابة لك فقال : ياامير المؤمنين ان من بركة الدابة طول صحبتها وقلة علفها فقال له : فكيف سيرها فقال : همها امامها وسوطها عنانها وماضربت قط الا ظلماً

ولعبد الحميد كصديقه وضريعه عبد الله بن المقفع شعر نادر فمنه

كفى حزناً اني ارى من احبه قريباً ولا غير العيون تترجم

فاقسم لو ابصرتنا حين نلتقي ونحن سكوت خلتنا نتكلم

هذا ما وصلنا من اخبار هذين الامامين ونحن نعلم ان ترجمتهما على ما ابتدناها هنا ليست مستوفاة من عامة وجوهها ولكن تلاوة كلام مهما احسن مترجم عنهما اذ كلام المرء قطعة من عقله .

الادب الصغير

لابن المقفع

عني بنشره الاستاذ العلامة الكبير الشيخ طاهر الجزائري

ونشر في مجلة المقتبس اولا

توطئة للناشر

من اعظم ما تدعو الحاجة اليه علم تهذيب الاخلاق لتوقف نجاح الامم عليه وهو فن ذو افنان تحتاج اليه الافراد على اختلاف طبقاتها · ومع قلة ما انتشر من كتبه ففي جلها من عدم التنقيح وانسجام العبارات ما يصد كثيراً من الطالبين عن الاقبال عليها · ومن ثم كثر بحثنا عن كتب تفي بهذا المطلب مع رشاقة مبانيها لتكون الفائدة مزدوجة وهو اقصى آمال الذين يسعون في احياء اللغة العربية واعادتها الى ما كانت عليه في عهدها الاول · ولما ذهبت الى مدينة بعلبك سنة ١٣٢٣ رأيت عند بعض الافاضل الواردين عليها مجموعاً استعاره من بعض اعيانها فرأيت فيه الضالة المنشودة وهي رسالة الادب الصغير لعبدالله بن المقفع الكاتب الذي يضرب ببلاغته المثل فكتبتها بخطي في نحو يوم وارجو ان ييسر لنشرها من عرف بحسن الطبع ليعم بها النفع والله الموفق ·

وهذا بيان الرسائل التي في المجموع المذكور : (١) كتاب عجائب امير المؤمنين علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وهو في نحو ثلاث كراسات يشتمل على ما نقل عنه من بدائع الاحكام (٢) ذكر الخلائف وعنوان المعارف تأليف الصاحب ابي القاسم اسماعيل بن عباد اوله « الحمد لله الواحد العدل وصلى الله على النبي وخيرة الاهل قد اسعفتك بالمجموع الذي التمسته في نسب النبي عليه السلام وبنيه وبناته واعمامه وعماته وجمل من غزواته وسائر ما يتصل بذلك » وهو اثنتا عشرة ورقة وفي آخره : وكتب في رجب سنة عشرين واربعمائة (٣) رسالة الى احمد بن ابي دؤاد في فضل العلم وهي ٣ اوراق وفي آخرها : وكتب في شهر ربيع الاول سنة عشرين واربعمائة (٤) ويتلوها كتاب الادب الصغير الذي نقلناه وهو في الصفحة اليسرى من آخر ورقة من الرسالة السابقة بخط كاتب واحد فتكون كتابتها في التاريخ المذكور ولم يذكر في آخرها تاريخ (٥) ويتلوه كتاب ذخائر الحكمة تأليف ابي بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي وهو في نحو ثلاث وعشرين ورقة (٦) مختصر من كتاب جاويدان خرد في حكم الفرس والهند والروم والعرب تأليف احمد بن مسكويه وهو في اكثر من كراس ·

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فان لكل مخلوق حاجة ولكل حاجة غاية ولكل غاية سبيلاً والله وقّت للامور اقدارها وهيأ الى الغايات سبلها وسبب الحاجات ببلاغها فغاية الناس وحاجاتهم صلاح المعاش والمعاد . والسبيل الى دركها العقل الصحيح . وأمارة صحة العقل اختيار الامور بالبصر وتنفيذ البصر بالعزم . وللعقول سجيات وغرائز بها تقبل الأدب . وبالادب تنمي العقول وتزكو فكما ان الحبة المدفونة في الارض لا تقدر على ان تخلع يبسها وتظهر قوتها وتطلع فوق الارض بزهرتها ونضرتها وريعها ونمائها الا بمعونة الماء الذي يغور اليها في مستودعها فيذهب عنها اذى اليبس والموت ويُحدث لها باذن الله القوّة والحياة فكذلك سليقة العقل مكنونة في مغرزها من القلب لا قوّة لها ولا حياة بها ولا منفعة عندها حتى يعتملها الادب الذي هو غذاؤها وحياتها ولقاحها . وجلّ الادب بالمنطق وكل المنطق بالتعلم ليس حرف من حروف معجمه ولا اسم من انواع اسمائه الا وهو مرويّ متعلم مأخوذ عن امام سابق من كلام او كتاب وذلك دليل على ان الناس لم يبتدعوا أصولها ولم يأتهم علمها الا من قبل العليم الحكيم . فاذ خرج الناس من ان يكون لهم عمل اصيل وان يقولوا قولاً بديعاً فليعلم الواصفون المخبرون ان احدهم وان احسن وابلغ ليس زائداً على ان يكون كصاحب فصوص وجد ياقوتاً وزبرجداً ومرجاناً فنظمه قلائد وسموطاً واكاليل ووضع كل فص موضعه وجمع الى كل لون شبهه مما يزيده بذلك حسناً فسمي بذلك صانعاً رفيقاً — وكصاغة الذهب والفضة صنعوا فيها ما يعجب الناس من الحلي والآنية — وكالنحل وجدت ثمرات اخرجها الله طيبة وسلكت سبلاً جعلها الله ذللاً فصار ذلك شفاء وطعاماً وشراباً منسوباً اليها مذكوراً به امرها وصنعتها فمن جرى على لسانه كلام يستحسنه او يستحسن منه فلا يُعجبنّ به اعجاب المخترع المبتدع فانه انما اجتباه كما وصفنا .

ومن اخذ كلاماً حسناً عن غيره فتكلم به في موضعه على وجهه فلا يَرَينّ عليه في ذلك ضؤولة فانه من أُعين على حفظ قول المصيبين وهُدي للاقتداء بالصالحين ووفق للاخذ عن الحكماء فلا عليه ان لا يزداد فقد بلغ الغاية وليس بناقصه في رأيه ولا بغائضه من حقه ان لا يكون هو استحدث ذلك وسبق اليه وانما حياة العقل الذي يتم به ويستحكم خصالٌ ست : الايثار بالمحبة . والمبالغة في الطلب . والتثبت في الاختيار . والاعتقاد للخير . وحسن الوعي . والتعهد لما اختير واعتقد . ووضع ذلك موضعه قولاً وعملاً .

اما المحبة فانها يبلغ المرء مبلغ الفضل في كل شيء من امر الدنيا والآخرة حين يؤثر بمحبته فلا يكون شيء امرأ ولا احلى عنده منه . واما الطلب فان الناس لا يغنيهم حبهم ما

يحبون وهواهم ما يهوون عن طلبه وابتغائه ولا يدرك لهم بغيتهم نفاستها في انفسهم دون الجد والعمل . واما التثبت والتخير فان الطلب لا ينفع الا معه وبه فكم من طالب رشد وجده والغي معا فاصطفى منهما الذي منه هرب والغي الذي اليه سعى . فاذا كان الطالب يحوي غير ما يريد وهو لا يشك بالظفر فما احقه بشدة التبين وحسن الابتغاء . واما اعتقاد الشيء بعد استبانته فهو ما يطلب من احراز الفضل بعد معرفته . واما الحفظ والتعهد فهو تمام الدرك لان الانسان موكل به النسيان والغفلة فلا بد له اذا اجتبى صواب قول او فعل من ان يحفظه عليه ذهنه لاوان حاجته . واما البصر بالموضع فانما تصير المنافع كلها الى وضع الاشياء مواضعها وبنا الى هذا كله حاجة شديدة فانا لم نوضع في الدنيا موضع غناء وخفض ولكن موضع فاقة وكد ولسنا الى ما يمسك بارماقنا من المطعم والمشرب باحوج منا الى ما يثبت عقولنا من الادب الذي به تفاوت العقول . وليس غذاء الطعام باسرع في نبات الجسد من غذاء الادب في نبات العقل . ولسنا بالكد في طلب المتاع الذي يلتمس به دفع الضر والغيلة باحق منا بالكد في طلب العلم الذي يلتمس به صلاح الدين والدنيا .

وقد وضعت في هذا الكتاب من كلام الناس المحفوظ حروفا فيها عون على عمارة القلوب وصقالها وتجلية ابصارها واحياء للتفكير واقامة للتدبير ودليل على محامد الامور ومكارم الاخلاق ان شاء الله .

الواصفون اكثر من العارفين . والعارفون اكثر من الفاعلين . فلينظر امرؤ اين يضع نفسه فان لكل امرئ لم تدخل عليه آفة نصيبا من اللب يعيش به لا يحب ان له به من الدنيا ثمنا . وليس كل ذي نصيب من اللب يستوجب ان يسمى في ذوي الالباب ولا ان يوصف بصفاتهم . فمن رام ان يجعل نفسه لذلك الاسم والوصف اهلا فليأخذ له عتاده وليعد له طول ايامه وليؤثره على اهوائه فانه قد رام امرا جسيما لا يصلح على الغفلة ولا يدرك بالعجزة ولا يصبر على الاثرة وليس كسائر امور الدنيا وسلطانها ومالها وزينتها التي قد يدرك منها المتواني ما يفوت المثابر ويصيب منها العاجز ما يخطئ الحازم

وليعلم ان على العاقل امورا اذا ضيعها حكم عليه عقله بمقارنة الجهال . فعلى العاقل ان يعلم ان الناس مشتركون مستوون في الحب لما يوافق والبغض لما يؤذي وان هذه منزلة اتفق عليها الحمقى والاكياس ثم اختلفوا بعدها في ثلاث خصال هن جماع الصواب وجماع الخطإ وعندهن تفرقت العلماء والجهال والحزمة والعجزة

الباب الاول من ذلك

ان العاقل ينظر فيما يؤذيه وفيما يسره فيعلم ان احق ذلك بالطلب ان كان مما يحب